حكايات الحاوي

مفيد دويكات

ملتقى الصداقة الثقافي
www.alsdaqa.com\vb

بياع العنب

سقطت المفاتيح خلف البوفيه الملئ بالفناجين والكؤوس والأواني الزجاجية، وبقاؤها حيث هي حتى يعود أبو صلاح يعني حدوث مشكلة عويصة في الدار، لن يرحم أو يفهم كون الصبي أسقطها وهو يلعب بها ، الحل أن يتزحزح البوفيه من مكانه وتعود المفاتيح إلى الجرار، قالت لنفسها وهي تفكر ثم توجهت إلى حماتها المقعدة أبدا في ركن الغرفة ، وافقتها العجوز الرأي بايماءة من رأسها، فارتدت أم صلاح ثياب الصلاة البيضاء وخرجت الى الباب، كانت تفكر بصاحب ميني ماركت الحارة، إلا إنها عزفت عن التوجه اليه اذ تذكرت ضعف بنيته وكثرة انشغاله مع الزبائن، واستقر رأيها على استبعاده حين نهق حمار أبي حسين بياع العنب الذي كان قادما من رأس الشارع وهو يسحب بالرسن حماره دائم النهيق، ومما شجعها على ذلك كون الرجل قوي البنية مألوف للناس من خلال تردده الدائم على الحارة، وهو ابن قرية قريبة يعرف أهل الحارة كما يعرفونه.

بالطبع لن يخيّب طلبها، وكانت تنظر إليه وهو يقترب فصار يرفع صوته وينادي على عنبه الذي أخذ يصفه بالعسل المصفى، وهو ينفع للأكل مباشرة كما ينفع للعصير أو التعليب ومعه صنفان أبيض وأحمر وكلاهما ألذ من الآخر، وحين أصبح على مقربة منها سألها بنبرة واثقة: " كم كيلو بدها أم صلاح؟"

أجابته بلطف حتى لا تخيب أمله ":بدي تساعدني يا أبو حسين" هتف من أعماقه":

أنا تحت أمرك" ، أخبرته عن المفاتيح المختبئة وراء البوفيه والتي لا حل سوى زحزحته لاستردادها، أومأ برأسه دلالة استيعاب وسألها وهو يهم بربط الحمار في عمود الهاتف الخشبي القريب من البوابة ":كيف وقعن منه وراء المأخوذ؟"

www.alkottob.com

"كان يلعب سقطوا من يده "

"صحيح ظهري يوجعني لكن مرحبا بك"

نهق الحمار الذي أصبح الآن مربوطا فضربه صاحبه الذي أحرج من تصرفه غير اللائق وقال للمرأة الشابة :"توكلي على الله"

سارت أمامه بخطوات سريعة فراح يتبعها مرددا " يا ساتر" تلك العبارة التي تعلم ترديدها كلما دخل دارا غير داره، حين وصلت بداية الدرج رفعت اذيال ثوبها الفضفاض كي لا تتعثر به ، بدأت ترتقي الدرج وهي متأكدة أنه يتبعها من خلال "ياساتر" التي لم تفارق شفتيه، لكنه وفجأة صمت، لم يكن ارتقى أكثر من بضع درجات، نظرت إليه فانفتل مهرولاً وهو يصيح بصوت متحشرج منفعل" إني أخاف الله العظيم" وكررها

دون أن يستجيب أو يكترث بأسئلة المرأة الحائرة المذهولة:"مالك أبوحسين شو في؟؟"

وحين دخلت على الحماة المقعدة سألتها عن تفسير لسلوك الرجل فردت العجوزضاحكة:

"هذا واحد مجنون " وهزت رأسها.

www.alkottob.com

رسالة من رئيس الوزراء

اتصل السادة الوزراء

واتصل أعضاء مجلس النواب

كذلك فعل أعضاء مجلس الشيوخ

والكثير الكثير من المدراء والسفراء والوجهاء

ومنهم من لم يكتف بالاتصال فجاء

وجاءت وفود ووفود وكلهم قدم الدعم والتأييد

بعد إقالتي المفاجئة وتلفيق تهمة الفساد

اقترحت علي عدة مناصب كثيرة

اقترحت رئاسة التحرير لجريدة كبرى

أو مديرا عاما لدائرة الإرشاد

www.alkottob.com

أو آمرا لفرقة المسرح القومية

أو سفيرا في إحدى الدول الشقيقة

شكرتهم وقلت لهم بكل وضوح :

يا أيها الإخوان

أنا اتهمت بالفساد ولا أريد القول إنني بريء

لا أريد القول إنني مظلوم، فهذه لغة الضعفاء

وإنما أقول إنني ابن هذا النظام

أعرف الكثير مما يدور خلف الستار

قسما أيها السادة إن لم يقدم لي اعتذار

وأرد إلى الداخلية خلال أربع وعشرين ساعة

www.alkottob.com

سأذهب إلى أوروبا أو شرق آسيا

ومن هناك أفتح الشنطة وأنشر الغسيل

سأقول ما أعرف كاملا ،

لن أقبل لنفسي دور الضحية

بعد ذلك بساعتين لا أكثر

اتصل بي معالي رئيس الوزراء ومن غير مقدمات زف لي

نبأ إعادتي إلى الداخلية وتعييني مديرا عاما للمخابرات.

وضحك سيادته وقال مداعبا : هل أنت راضٍ يا سيدي الآن ؟؟

أجبته مداعبا: ليت مع ذلك رتبة جنرال.

www.alkottob.com

شـاكـرنا

إحدى حكاياته " شاكرنا"

لا أدري كم كان عمري يومها
ما أدريه أنني كنت في الكروم
أصطاد العصافير بفخ صنعه أحد النوَر
وكنا نشتريه منه برغيف
وكنت أركض بين الأشجار أطارد العصافير
عسى أن يقع أحدها في فخي
وفجأة رأيته ، العم شاكر رحمه الله
كان آخر زمانه أحد مربي الأخلاق
يضرب أبناءه بالقشط إن ذهبوا إلى السينما
أو قال أحدهم ما أحلاها بنت الجيران.
كان يومها في عز الشباب له شوارب مخيفة
ويعلق في خاصرته شبرية
كنت أنوي أن أكون مثله حين أكبر
وكان جالسا تحت زيتونة كثيفة
ابتسم لي حين رآني ورحب بي
رغم أنه من النوع الذي لا يؤيد سياسة الابتسام للأولاد
ناداني، خفت قليلا منه ماذا تعمل
هل اصطدت؟
استخرج من جيبه حبة ملبس على ورق

www.alkottob.com

ووعد إنه سيعطيني أكثر

وبدأ شوط المداعبات

بعد ذلك استراح ولف لنفسه سيجارة

أشار إلى مضرب للبدو في أطراف السهل غير البعيد

قال أترى البيت الأخير المنفرد؟

الذي على حبله غسيل

هناك توجد امرأة ..

سليمة ؟

التمع وجهه حين ذكرت الاسم

أتعرفها يا منحوس؟

بالفعل كنت أعرفها

أكثر من مرة شربت من يدها

فهي لم تكن جديدة على المنطقة.

دائما كانوا يأتون بأغنامهم وكنا نعرفهم

طلب مني الذهاب إلى بيتها

وأتظاهر بطلب الماء أو لجوع وأطلب الزاد

وقبل أن يكمل رفضت

رغم صغر السن شممت في كلامه رائحة غريبة

وتذكرت حزام أبي العريض وقسوته حين يثور.

كان يتحدث وصوته مائع وضحكة مخيفة على شفتيه،

ولكنه استطاع إقناعي لما عرض أن يدفع لي خمسة قروش

تناولت المال في يدي فأخذ بتلقيني

قل لها تعالي خذي الحطب عمي شاكر هناك

www.alkottob.com

عنده أكوام من الحطب، بعدها تطير الى الدار

إن عدت استرد الشلن ، إلى اين تطير؟

إلى الدار

ينتظرك مع الظهر في الكرم، ماذا ستقول؟

شاكر ينتظرك بعد الكرم في الظهر

يا حمار بعد الظهر

لمن تقول؟

لسعيدة

إياك ان تحكي شيئا إذا رأيت أحدا سواها

والآن احلف أنك لن تقول لأحد ، حلفت اليمين

ربي لا تؤاخذني فيما أقول

وضعت القروش في جيبي وذهبت

كنت أشعر أنني أقدم خدمة عزيزة عليها

لأنها كانت دائما تبحث عن الحطب

اقتربت من البيت،

كان هناك كلب أخذ ينبح وكان ينزع لفض الرباط

شعرت أنه يكاد ينفلت فكرت بالهروب،

لكنها أطلت

كانت جزيلة الجسم تضع على الدوام فوق رأسها منديلا أحمر

وكانت تملك وجها واسعا لكن صدرها كان أوسع

كنت أعرف من أطراف أحاديث الرجال انها إمرأة لختيار.

الكل كان يحب الحديث عنها

يومها لم أكن أعرف لماذا يتلذذون بذلك الحديث؟

هي انتهرت الكلب فطلبت منها الماء

www.alkottob.com

غابت لدقيقة ثم ظهرت بعدها حاملة كوبا لامعا بيدها

حين وضعته على فمي غمرتني رائحة الحليب

تظاهرت أني شربت

ولما ناولتها الكأس همست لها يسلم عليك عمي شاكر

ويقول لك أنه ينتظرك مع الظهر في الكرم

وعنده كوم من الحطب رمتني بنظرة طويلة وسألتني

هو عمك؟؟ ثم قالت طيب

وقبل أن أذهب استبقتني

أتت بخبز رقيق وجبنة بيضاء

وسألتني أين هو فأشرت إلى كرم الزيتون البعيد

وقلت هناك قالت سلم لي عليه

وحين سألتها هل ستذهب

قالت مداعبة : يلعن أبو عينيك

وتراجعت

لم أعد إلى الزيتون خفت أن يهجم علي

يسترد الشلن مني وكنت أود أن أحكي

لكني كنت دائما أتذكر حلف اليمين

ربي لا تؤاخذني

وصرت أخاف من قشطه وغضبه أكثر

www.alkottob.com

قـــصص قصـــيـــرة

1

كلفني التنظيم باغتياله، لم أكن أعرف ما هو ذنبه، ولكني كنت واثقا أننا لا نظلم أحدا، ومثلما كانت الخطة تقضي جلست في الظلام قبالة داره، وكنت أنتظر إطلالته، بعد ساعة أطل وكان يحمل طفلة بيديه ليريها الظلام، أطلقت النار قاصدا إصابة الحائط ،في اليوم التالي وبخني التنظيم على سوء التصويب .

2

ظل بي الشوق والظمأ حتى دخلت الشقة ورددت الباب ورائي، لم أكن متطفلا وإنما جئت بعد شهرين من الترتيبات بيني وبينها على الجوال،
لقد وقع بصري على طفلها وهو في الثالثة من العمر، كان يتسكع في المكان ونصفه الأسفل عار، انطفأ حنيني ولهفتي وخرجت متسللا غير مكترث بتساؤلاتها، الغريب أنها بعد ذلك غيرت رقم جوالها

www.alkottob.com

3

كانت لي خرزة زرقاء معلقة في رقبتي، قالت البصّارة لأمي هذه الخرزة تحميه من العين، ويجب أن يحملها حتى يتزوج، وكنت أخفيها تحت الملابس بعد أن كبرت ، رأتها امرأة غجرية فاستحلتها، بعتها لها مقابل قبلة من شفتيها ،وكانت هي الأخرى تريد أن تعلقها لابنها.

4

سألني المحقق عن سر حرف الفاء الذي كان منقوشا ضمن وشم أخضر على صدري فوق القلب مباشرة فقلت له : هذا أول حرف من اسم أمي "فردوس" لكنه لم يقتنع فلكمني على وجهي ووصفني بالكاذب وهم بلكمي

مرة أخرى آنذاك اعترفت له أن هذا أول حرف من اسم فلسطين.

5

قالوا الصلاة والدعاء في المسجد الأقصى تصل السماء مباشرة، فذهبت في ليلة قدر إليه، أمضيتها مصليا داعيا الله أن يجعلها من نصيبي، وأن يبعد عنها شر الخطّاب والعرسان حتى تسمح ظروفي، حين عدت وجدت زغاريد ورقص في دارهم المضاءة، سألت فقالوا "الليلة إملاك سعاد "عقبال " عندك".

www.alkottob.com

المحطـــة المفـــضلة

قبل بدء المقابلة الرسمية جلسا لشرب القهوة بانتظار طاقم التصوير
فسألته المراسلة"سهاد" كالمداعبة :

_ما هي محطتك المفضلة التي تشاهدها عادة سيادة الوزير؟ ؟

_أجاب بعفوية وكأنه توقع ذلك السؤال:

_إكس إكس إل!!

دهمهاخجل مفاجيء، هربت بعيدا بعينها، ثم ما لبثت
أن تساءلت متصنعة البراءة:

_عربية تلك المحطة ؟
أجاب بسرعة:

_كلا هي محطة فرنسية، في الليل تبث برامج حيوانات
مذهلة، أسود وسباع وضباع وغزلان وخراف، كل أنواع الحيوان في الغابة، إذا لم تكن عندكم
ضعوها على الجهاز

www.alkottob.com

_لا يوجد عندنا قمر أحنبي

قالتها وهي تغالب ابتسامة خفيفة على شفتيها

_خسارة صدقيني خسارة لو ترينها!!

قالت محولة الحديث عن مجراه:

_تأخر طاقم التصوير أريد الاتصال بهم لأعرف السبب،

وابتعدت عنه، تكلمت عبر النقال، لفترة طويلة.

www.alkottob.com

أنـــت أعقل مني

يوم جاءت الطائرة المروحية، وبدأت تحوم فوق البلد، وكان الكل يتوقع حدوث غارة قاتلة، صعدت شأن كثيرين إلى السطح،بدأت أترقب الضربة، رأيت الذين اختبأوا والذين فروا بين الأشجار، ورأيت الأطفال في الحارات يتراكضون مذعورين، كما رأيت سيارات الإسعاف والإطفاء، تلك التي استدعيت من المدينة، على عجل من قبل المجلس، ورأيت أبواب المستوصف تشرع، وتوضع الأسرة النقالة على حافتها، والممرضين ملتفين حولها بقمصانهم البيضاء، وبالطبع بقيت أرى وأسمعها اللعينة وهي تروح وتجيء كالرعد، تحرث سماءنا الصافية، وكنت ِ أنت مع أمك وأبيك على سطح داركم، كانت أمك تنقي قمحا أو عدسا، كان في وعاء بين يديها ،وكان أبوك يدخن ويشرب الشاي في الزاوية، فيما أنت تطالعين أظن كتابا، أو مجلة، فكرت كثيرا قبل أن أرفع الجوال، وأطلب رقمك ، كنت أخشى أن أحرجك أمامهم، لكنني في النهاية اندفعت، لم أتزن، طلبتك ، كنت أريد أن أصرخ بك، لماذا هناك؟ ألا تخشين الغارة؟ انزلي عن السطح يا مجنونة، إنني في خوف عليك، كنت أريد أن أقول لك :

سأموت إذا حصل لك أي مكروه، فوجئت بك في غاية الهدوء، رأيتك حين رفعت الجهاز إلى أذنك، وابتعدت قليلا عنهم، ولكم هدأت حين سمعت ضحكتك، وقولك أعتقد أنها غارة تدريبية، كيف فاتني هذا؟؟

www.alkottob.com

كـان الوقت ظهـرا

كان الوقت ظهرا

رن جرس نقاله ، استخرجه من بيته للرد، نظر كعادته إلى الشاشة، ركز عينيه ليتأكد من الرقم الموجود، ثم فتح الخط:

_نعم

وتحدث باهتمام، ثم صمت ليستمع إلى محدثه حتى النهاية، كثيرا ما هز رأسه، وأعطى ضوء الموافقة،

وهو يرد الجهاز إلى بيته قال:

_مراسل الجزيرة يريد مقابلة في برنامج الظهيرة

سألته باهتمام:

_وافقت؟؟

_نعم

وتوقف حديثنا عند هذه النقطة حيث جذبنا دوي انفجار هائل وقع في وسط نابلس تبعته سحابة دخان أبيض وكانت الأباتشي ما تزال تحوم في السماء هناك فوق مكان الانفجار، هو اتصل، لا أدري بمن، ليسأل عن نتيجة الانفجار فامتقع لونه : نسفوا إحدى العمارات

_كنا في أحد أيام الاجتياح الأولى

www.alkottob.com

_أتدري ؟ أنا ليس لدي قناعة بكل هذه الانتفاضة كان يجب أن تكون بضع احتجاجات وكفى، مسارها الحالي أباح لهم سلبنا كل شيء، ليس فقط بعض مكاسب أوسلو، بل كل شيء، ابتداء من السلام ولقمة العيش،حتى الأرض، أنا غير مقتنع وإلاّ لكنت هناك في وسط المدينة، أقاتل!

_تبدو مثل كل الأشياء التي فرضت علينا

_ميزتها أننا نقنع أنفسنا بأنها الطريق الوحيد لوصولنا لأهدافنا

وضحك العقيد وعلق :

_من يسمعني سيظن بوطنيتي الظنون، لكن مع الأسف هذه حقيقة موقفي، إنني حائر ، ماذا أقول للجزيرة ؟

_كما يقول الآخرون

يبدو لا مفر من ذلك، لا مفر وإلاّ سجلت في دفتر المتخاذلين.

موقعنا على الشرفة، يتيح لنا رؤية الأطراف الشرقية من المدينة والمخيمين، وسفحي جرزيم وعيبال وطريق القدس المهجورة، فقط دبابات وجيبات عسكرية فوقها ويتيح لنا أن نسمع زخات الرصاص ونرى بقع الدخان التي يصنعها على ظهور وصدور العمارت.

_سمعت الأخبار عن القتال وأسر الجنود، اتصلت بصديق في المخيم،

رمل على مرتي، قال إنهم فوق كل دار، ويعربدون ويشربون البيرة، قال ثم أشعل سيجارة وعاد يتساءل:

_هل تنصحني أن أسجل رؤوس أقلام أم أدخل الحديث عفويا

_هذه ليست أول مرة تتحدث فيها إلى تلفزيون

_لكنها المرة الأولى التي أخاف منها.

www.alkottob.com

جاء الموعد

اتصلو به من قطر، هو الذي قال ذلك، تركته في الشرفة ودخلت الغرفة،
بدأت أسمع أحاديثه سأله المذيع عن الموقف داخل البلدة القديمة

هو أجاب :

_القتال من بيت إلى بيت هناك شهداء بالجملة وجرحى وهناك خسائر فادحة للطرف الآخر نحن نقاوم هجمة شرسة جيش قاتل مزوّد بأحدث الأسلحة لا نصير لنا سوى بعض محطات التلفاز
_هل تريد من العرب أن يدخلوا المعركة؟
سأله المذيع
فأجاب:
_لا، لن يستطيعوا الدخول عسكريا، أريد منهم تضامنا سياسيا أقوى استخدام النفط، استخدام الأرصدة، الخروج من دهاليز التخاذل

وسأله المذيع عن توقعاته قال:
_صمود حتى الرمق الأخير ، لم يبق لدينا ما نخاف عليه أو نخسره

وانتهت المقابلة رجعت إليه كان قد أشعل سجارة أخرى،
_هل كنت موفقا في الردود
سألني
_جدا

كان يتحدث عن رجوعه إلى التدخين بسبب الأحداث بعد أن تركه لعدة أشهر حين رن الجرس اللعين كما كان يسميه،

www.alkottob.com

_لالالالا أنا في دار صديقي الذي حدثتك عنه، وشرفي لا أكذب

فقط من أجل المقابلة تحدثت لو قلت لهم أنا فوق سطح بعيد عشرة كيلو مترات عن المعركة لما أجروا المقابلة معي، اتكلي على الله وانتبهي للأولاد،

قال وهو يبتسم بمرارة :

_زوجتي سمعت المقابلة فظنت أنني في قلب المعركة، لم تصدق بسهولة

_معها حق

_لا كهرباء ولا ماء وانتهى الخبز تقول

_كيف ستتصرف؟

_نشيطة تستطيع تدبير نفسها

_الووو

_نعم

كيفك يا حجة؟ ياما أنا بعيد لا تصدقي، حكيت مع المحطة إعلاميا فقط

وحياتك اطمئني هذا صاحبي تحكي معه؟؟ طمني الجميع وانتبهوا لحالكم يمّا وحياة عمرك بعيد صدقي واطمئني،

ابتسم بمرارة

_الو

واتصل ابنه الذي يدرس الطب في فرنسا، وكذلك أخته في القاهرة، وأخيه من الرياض ، الكل سأله عن مكان تواجده، لكنه اختنق أمام مكالمة متأخرة غطى سماعة الجهاز وهمس لي:

www.alkottob.com

_الرئاسة

نعم نعم كما أخبرتك موجود هناك، لا لا لم أذهب إلى البلدة القديمة

وكيف أذهب؟ الطرق مسدودة كل الطرق .

نعم

هل احتج أحد يا سيدي؟ كلام صحافة، قولوا لهم !!، لا أعتقد حدوث أزمة علاقات سواء مع القاهرة أو الرياض، يفهمون موقفنا يا سيدي، أعرف أننا بحاجة إليهم ، إذا قولوا لهم أنه يقصد تخاذل الجماهير العربية!!

نعم

نعم

في مقابلة أخرى سأشيد بدعم الجميع، من سوريا إلى موريتانيا حتى جزر القمر وأيضا والصومال هذه بسيطة!!

نعم حاضر

ونفخ بعد انتهاء المقابلة !!

الرئاسة متضايقة من كلامي حول العرب لا حول ولا قوة الا بالله،

،

أللووووو

وانفجر وجهه حيوية وتضرجت وجنتاه بحمرة خفيفة:

_نعم أهلا، كيف حالك؟

حلي عني

مطارد وعدت للتدخين ومرمي في بلد بعيد، لا أستطيع أن أجيء، كيف عيونك؟ شكرا أعرف أنك

www.alkottob.com

أصيلة ولا تنسي ، انتبهي لنفسك اطمئني لا خطر علي، ألف مودة ، هذا وقت قتال لا وقت قبل،

ونظر إلي بعد انتهاء المقابلة قال:

_زينب التي حدثتك عنها!!

قال : هي الأخرى قلقة

،

السؤال الذي حيرني منذ ذلك اليوم إلى الآن كيف عرفوا مكان تواجده؟؟

ساعة بعد المقابلة واتصالات الأقارب وكنا نتحدث ما زلنا عن الاجتياح والتوقعات حين امتلأت ساعة الدار بالجيبات العسكرية، كلمح البصر حدث ذلك، اسود وجهه وهو يرى الحشد والسماعة تخاطبه بالاسم أن انزل، وسلم نفسك،

_الاتصالات

قالها وهو يمد يده مودعا، سأنزل وأمري إلى الله .

www.alkottob.com

المعــزوفة الزائــدة

منذ ساعات وأنت تزن على رأسي
نحن أمة واحدة وشعوب واحدة وكوارث واحدة
ونحن ونحن

يا أخي
يا أخي متى تنسى هذه المعزوفة الفاسدة
التي أفسدها الاستعمال غير الصحيح
أفسدها من يلعن سايس وبيكو
ولكنه في الواقع يقرأ الفاتحة لروحيهما
أفسدها من جعل من الدولة القائمة البقرة الحلوب
من لا يفكر بانتاج أو حتى تطوير الموجود
أفسدها من باسمها يتاجر بدون قيود

يا أخي إنهم يفكرون في الشام بغير ما يفكرون في عمان
إن ما يبكيهم في بغداد قد يضحكهم في الدار البيضاء
إن من يكون صديقا لصنعاء هو أعدى الأعداء في مسقط

يا سيدي إن كنت تقصد ناحية اللغة والأخلاق والدين
إن كنت تعني موائد الإفطار والسحور
إن كنت تقصد حقل الأغاني والقصائد
أنا معك كلنا في الهم سواء

www.alkottob.com

لكن حين الركض وراء الدولارات والوكالات والسفارات
حين التسابق إلى العواصم الغريبة
والتنافس على حيازة الوكالة التجارية
ستجد هنا ألف قيس وهناك ألف يمن
ستجدنا في الهم لسنا سواء

ستجد شعار الأخوة العربية ضربا من الاتجار
ستجد الوقوف مع الاخوان مجرد شعارات

وأقصى ما يجاد به بضعة ملايين من اليورو
تذهب في الأغلب إلى جيب السمسار
وإذا كنت في شك من هذه التخاريف

فاسأل الأطفال في فلسطين اسأل أبناء الكويت
أو بغداد أو الصومال....

www.alkottob.com

عابــرة طريــق

من بين أعواد الذرة كشبح أحمر خرجت، انحرفت عن خط سيرها الواضح، وأقبلت نحوي، شعرت بذعر لا يوصف، امرأة غجرية عملاقة، وفي كتفها مخلاة، نفس مواصفات التي يتحدثون أنها تسرق الأولاد، وتخنقهم، لم أكن ولدا صغيرا، كنت في العاشرة ربما، وكنت سارحا مع الغنم، ولدي كلب وحمار، وجالون ماء وعصى، تحميني من شراسة الأفاعي، بقلب واجف انتظرت وصولها، حين دنت تبددت كل مخاوفي إذ عرفتها، وشعرت بأمن عميق،

هي "أم أسعد"ذات الصوت الجميل، التي تحيي الكثير من الأعراس،

وحفلات الطهور ، كانوا يلقبونها بصباح الثانية،أصبحت الآن قبالتي وهي ترمق الأغنام، وتصلي على النبي ، ثم سألتني:

_معك ماء يا ولد؟

_نعم

انفجر وجهها بشاشة، وظهر ارتياح كبير على محياها، قالت كمن تحادث نفسها:

_هذا أنت ؟ والله ما كنت عارفتك؟؟

واستخرجت جالون الماء من الخرج الذي كان على ظهر الحمار، وقدمته لها، مسحت فمه، وجعلت تشرب بنهم، وكانت رقبتها الغليظة تهتز لوقع الماء بداخلها، بدت كمن لم تشرب الماء منذ شهر على الأقل ، حين ارتوت ردته إلي شاكرة، وجلست على كومة حجارة، وجدت كحد بين قطع الأراضي، قالت:

www.alkottob.com

_معك دخان يا صبي ؟ تصدق إني رقصت لأبوك يوم عرسه، وزفيته؟؟

_لا أدخن!!

_وأعطاني عمك صبيح الله لا يعطيه، خمس ورقات أردنية، واشترى لي ثوب مقصب!!

وقبل أن تكمل جملتها أرسلت يدها إلى ظهرها، من فوق الفستان، وراحت تحاول أن تلتقط بعض قش علق هناك، كنت أتأملها بفضول، وأفكر كيف يستطيع إنسان أن يمنح وجهه تلك الحمرة التي كانت تغطي وجهها، والتي كانت تشع في شمس العصر، كأنما دهن خداها بالزيت، التفتت إلي، وداعبتني قائلة:

_اعجبتك؟؟

_لا أنا أتطلع إلى الذرة،

لم أكن بعد قد عرفت مدى قسوة ذلك الجواب على سمع امرأة، ولعلها لم تشعر هي أيضا بقسوته، لأنه جاء مني، ضحكت، ربما لسذاجة إجابتي، ثم سألت كالمداعبة:

_إذا التقى رجل وامرأة بين الذرة ماذا يفعلان ؟

فقلت من فوري:

_يشربان الشاي ويتحدثان عن عبد الناصر!!

ضحكت ملء فمها، ثم طلبت مني أن أنظر إلى ظهرها، وهل يوجد عليه قش أو تراب؟ هي قالت: إنها نامت قليلا في الظل، بين أعواد الذرة نتيجة تعبها وسفرها الطويل، دنوت منها ورحت أتأمل ذلك الحائط أمامي الملفوف بقماش أحمر واسمه ظهرها.

_ملآن قش؟

www.alkottob.com

بالغت في القول لسبب مجهول هي قالت على الفور:

_نقبه نقبه لي!

بدأت أستخرج من ثنايا القماش ما استطعت منه، ومن ذرات تراب عالقة، كنت في حرج، ولكن ذلك لم يمنعني من التسجيل في نفسي، أنني أعيش لحظة مثيرة من لحظات عمري!!

_اوعى تحكي إنك نظفت لي ظهري، لوالدك لأنه أسوأ من الحج صبيح بكثير!!

_مالك على الحج صبيح ؟
_هذا واحد حيوان، قل له عني هذا الحكي،
_لو يسمعك يضربك!!
_يضرب حذائي ! أنت تخاف منه ؟

ولم تمكث طويلا، فنهضت وحملت أغراضها، وكانت تعدني أن تحيي حفلة عرسي حين أتزوج، ولم تنس أن تذكرني بضرورة انتقاء عروس مزيونة، واختفت على الطريق باتجاه البلد، وكنت قد نسيت أمرها حين ظهر الحاج صبيح بين أعواد الذرة ...

www.alkottob.com

آخـر اتصـال

آخر اتصال
أنت أخبث وأوقح رجل في فلسطين
لو كلهم مثلك ما بقي أثر لأخلاق!
كانت تداعبني
ونحن نصعد الدرج!

***

تأ خرت سكرة الباب عن الاستجابة للمفتاح
فسمعتها تغمغم مازحة:
ـيا رب يظل مغلق للصبح
لأعرف أين ستنام ؟؟

***

صديقتي تغار علي أكثر من زوجتي
هل تعلم؟؟

***

يرن جرس النقال؟
يأتي صوت أحد الأصدقاء
يسألني إن كنت على استعداد لسهرة خارجية

www.alkottob.com

أجيبه:

_كلا،عندي ضيوف!!

***

تنظر إلي من مقعدها

تتساءل:

_من هذه التي كانت تتحدث إليك؟

_أخوك يسأل عنك؟؟

تطلق ابتسامة ذات مغزى

_ما أسرع بديهتك يا كذاب

صوت امرأة كانت

تعلق!

***

ونحن نتعشى في المطعم

بدت قلقة في مجلسها

تقدم المقعد وتؤخره

استقرت حين لاحظت

أني لم أعد أشاهد جارتنا

على الطاولة المقابلة

***

www.alkottob.com

حين صبت القهوة

أشعلت سيجارة

فسارعت إلى سحبها من فمي

وألقت بها بعيدا

لعلها لاحظت انفعالي

فوضعت شفتيها في مكانها

***

_لو تدري زوجتي بما يحدث بيننا!!

قبل إكمال الجملة

وضعت كفها على فمي!!

***

_تخيلي لو يمنعوا التجول الآن

ماذا ستفعلين؟؟

_أخرج وأمري إلى الله

_يعتقلونك

_أفضل لي من المبيت خارج الدار

***

كنا في الطريق لايصالها

أشّرت للسيارة فتاة ترتدي الكاوبوي

www.alkottob.com

هممت بالتوقف لأرى ردة فعلها

فهتفت بي:

_تأخرت

لا وقت للتحميل والتنزيل!!

***

_ضعني على العتبة

قالت ونحن نقترب من الدار

نظرت إليها فهتفت:

_سأقول لهم سيارة أجرة!

***

_قررت أن أخطبك

صرّت شفتيها وتساءلت:

_من قال لك أني أقبل أن أكون ضرّة؟

_إذن أطلق!!

_انخم واسكت

هل ينقصك شيء؟

***

www.alkottob.com

رن جرس النقال فأجفلت
أوقفت السيارة وتحدثت.
حين انتهاء المكالمة

وكانت عرفت أنها زوجتي
نشجت
وسقطت الدموع من عينيها

***

_متى ستعود زوجتك من القدس؟
سألتني بعد أن كفكفت دموعها

_ربما غدا
_إذن لن يكون لنا لقاء آخر!!
_مع الأسف

***

بعد أسبوع أخبرتني مبتهجة!!
_هل تعلم؟
_ماذا
_قد تفقدني للأبد

www.alkottob.com

_لماذا؟

_جاءني خطيب مقبول

_نواصل

_أظن أنك لا تكره استقراري

وبالفعل كان آخر اتصال!!.

www.alkottob.com

المطر الأخضر

و.....

بعد ثلاثين سنة التقينا!

اتصل بي زوجها من دكانه
أخبرني أن ثلاجة البيت عاطلة عن العمل
فاذهب واعمل اللازم
البيت بيتك
وهناك ستجد بانتظارك الحاجة والأولاد
وأعطاني العنوان

وجدتني بعد ساعة في مكان أعرفه
وادي الشنّار
كان هنا كرم زيتون
عشرات من الأشجار الرومية الكبيرة
ومثلها أغراس يافعة
الآن أصبح حقلا من المباني
حارة
تتلوي في داخلها طرق ضيقة
يلعب على سطحها الأطفال

www.alkottob.com

وتغطيها الأتربة ومياه الشطف والغسيل

وها هي دار الحاج سميح

صوت السيارة جذب انتباه الأطفال إلي

ثم ظهرت "الحاجة" سيدة الدار

كانت ترمقني بفضول وهي تتكلم عبر الجوال

وحين أغلقته اقتربت مني وهي تقول:

_أهلا وسهلا... أنت مصلح الثلاجات ؟؟

بدأت العمل على إصلاح العطب وهي في الجوار

كانت امرأة وقورة تجاوزت الخمسين من العمر

متوسطة القامة

بدأت خطوط الزمن تؤشر بقسوة على وجهها

وقد غطت رأسها بطرحة بيضاء

كانت تبدو جريئة وواثقة بنفسها

لعلها اعتبارات السن

ووجود بضعة أطفال حولنا

هم بالتأكيد أحفادها

.....

صنعت القهوة وقدمتها لي وهي تكرر عبارات الترحيب

وخرجت إلى الشرفة حاملا الفنجان بيدي

هناك كانت شجرة التين الوحيدة في الكرم

www.alkottob.com

وهناك لوزة مرة
تناولنا آخر غداء في ظلها

وهناك كانت ثلاث داليات تغطي أكوام حجارة
وفي مكان السور كانت آخر زيتونة عملنا فيها
بالقرب منها قبضت أجرتي
صاع مليء بحب الزيتون
وتوادعنا
مع السلامة

كلهم رددها في نفس الوقت ما عداها
تأخرت قليلا
وخرج نصف الكلمة من أنفها،
سرحت في الذكرى البعيدة
أول امرأة أشعرتني بجسمي
هي

كانت تأتي لمعاونة والديها
تسبقها إلى الكرم رائحة عطر نفاذة
عروس جديدة وتأتي للمعاونة

كانت مدللة وموضع حب من قبلهم جميعا
ولكنها متميزة عن الأخريات
جمال بسيط لكنه كان قمة الفتون في نظري
وكانت تحضر بملابس زاهية تستبدل في كل يوم

www.alkottob.com

وأساور ذهبية في معصمها
حتى مشيتها كانت متميزة
وطريقتها في العمل كانت مختلفة

فقط قبل أن تأتي كنت ذاهبا للعمل
بعد ذلك صرت أذهب لرؤيتها

أذهب لاستشعار البهجة في قربها
أذهب لإمطارها بحب الزيتون الأخضر
كانت تجمع الثمر المتساقط إلى الأرض
رأيتها تحت الجذع الذي كنت أقطف ثماره

استيقظ الشيطان في صدري
بدأت أتعمد إسقاط الحب عليها
على رأسها ويبدها وصدرها
مرات كثيرة أفلحت في إرساله إلى صدرها،
عشرة أيام كاملة أمضيتها في حلم يقظة مستمر
وحين كنت أعود كانت ترافقني
طيف جميل يأبى الذهاب
أحلم بها في الليل
وأشعر أنها قريبة
وكنت أشعر بلهفة تغمرني

وكنت أشعر كمذنب إذ أناوش منطقة محرمة علي
فأقرر أن أكف عن دعاباتي الطائشة

www.alkottob.com

ولا أنسى أن أصلي لله دائما
يا رب
حين أتزوج يسّر لي عروسا مثلها.

هناك كانت الزيتونة التوم
ونحن نضع الزيتون في الكيس قرصتها في يدها
تأوهت بصمت
واختنق وجهها

فرغت من كنس ما تساقط من ماء
وأطلت برأسها ، تساءلت:

_خلصت شغل في الثلاجة؟؟

_نعم

وقلت:
_كان هنا كرم زيتون ، أذكره !!
_حضرتك من أي بلد؟؟ باين عليك فلاح!!
وحين نطقت اسم قريتنا تفكرت ولم تعلق.

_تعرفين بلدنا ؟
_أسمع بها وفي سنة الحرب كان واحد منها يشتغل معنا في قطف الزيتون!!
_أين ؟؟
_هنا.. هنا كان كرم زيتون لأبي، بعد وفاته قسمناه، إخوتي باعوا حصصهم
وأنا بنيت في حصتي!!

www.alkottob.com

_أنتِ نجاح؟؟

صحتُ بدون تروٍ فأشرق وجهها، أجابت:

_وأنت خليل ؟

_هل تذكرين؟

احمر وجهها خجلا وتمتمت كالمازحة:

_لليوم رأسي يوجعني من الزيتون يا لئيم!

.....

وتمنيت لو يطول المكوث، لو تخرب الثلاجة مرة أخرى

بودي أن أحكي وأحكي لكني شعرت أن مهمتي انتهت

وعليّ أن أغادر!!

.....

وطرت شجنا حين سمعت أحد الأطفال يناديها:

_ستي أم خليل تعالي!!

www.alkottob.com

مـــساء الخـــميس

حين دخل علينا الصيدلية سلم واتكأ بساعديه على الطاولة
ثم مد يده إلى جيبه واستخرج بعض النقود.

كان يؤكد أنه من الناس الذين لا يطيقون الدين ولا يحتملون المطالبة به
قالها بنبرات تنم عن صدقه وحاجته إلى الإطراء
ثم طلب من الصيدلاني كشف حساب!!

كان حليق الذقن ناعم الوجه كعادته
وبدا بملابسة النظيفة _دون كي_ كأي عامل بدأ بممارسة إجازته
أخذ كعادته يوزع نظراته بيني وبين الصيدلاني
ويكرر في حديثه كرهه للديْن
وتساءل كثيرا كيف يمارس البعض
هذه العادة

اليوم قبض أجرته!!
فمر بالبقالة و الملحمة و الخضرجي
وسدد ما عليه من ديون
وفي اللحظة الأخيرة تذكر الصيدلية
كان أسبوعا مرضيا
احتاجت الدار فيه للدواء
المرأة
والبنت
واثنان من الأولاد

www.alkottob.com

وأنا

أخذت علبة أسبرين!!

بدا الارتياح واضحا على محياه حين عرف رقم المبلغ المطلوب

فقدمه شاكرا لله الذي يمنحه قدرته على السداد.

راح يتطلع إلى ما حوله فيما بدا أنه يراقب

ثم همس للصيدلاني محاولا إخفاء الصوت حتى عني

_الحبة الزرقا شو اسمها؟؟ نسيته!

_فياجرا

قال صديقي بنبرة أعلى مما يجب

أدرك أنني سمعت ما قيل فتوجه إلي هاتفا:

_اوعى تضحك عليّ.. صدق أشتريها لوجع الظهر

لا تقول الليلة الجمعة ..ومن شان الولدنة!

هذا هو اسأله

كم مرة قلت لك من شان وجع ظهري!

دس ما قدم له في جيبه وذهب.

عندئذٍ تذكرت أننا في مساء الخميس!

www.alkottob.com

عمليــة خــاصــة

بوغتنا بوجودهم وراء المنعطف مباشرة
كانوا يحيطون الشارع بثلاث سيارت جيب عسكرية
واثنتان لحرس الحدود
وثالثة هي سيارة تكسي بيضاء في سقفها هوائي
مما يدل على أنها سيارة استخبارات!

بالطبع لم نكن سعداء بهذه المفاجأة
وكان الحاج هو أول من عبر عن خوفه إذ هتف

_الله يستر

فيما علق الدكتور فرح قائلا:

_حاجز طيار هذا!
غادة تمتمت ببعض الأدعية
فيما كانت قدمي ترتعش على دعسة الكوابح!!

وقف
كانوا يصرخون وهم يسددون أسلحتهم نحونا
كانوا يصيحون بنا من كل صوب
بينما كانت السيارة متوقفة بالفعل!

www.alkottob.com

طلبوا منا النزول رافعي الأيدي والقمصان والفانيلات
ثم الدوران حول النفس ليتمكن الفاحص من رؤيتنا بالكامل

وشعرنا بارتياح أنهم لم يطلبوا من البنت فعل ذلك
بل اكتفوا بالطلب منها أن تفتح أبواب الجلباب
وتدور حول نفسها رافعةً ليديها
كانت خجلة جدا
لكن الحاج شجعها على الإحتمال

كم تعرضت لمثل هذا الموقف طوال أيام الانتفاضة
إلا أنني لم أشعر بخطر على الحياة كما شعرت آنذاك
حتى يد المفتش بدت لي ثقيلة جدا وهي تمر بقسوة
على أطراف جسمي!!

حتى الآن نحن في أمر عادي!

بدأت رحلة المصاعب حين طلبوا منا نزع الملابس
والبقاء بآخر قطعة منها
لم يكن هناك مجال للجدال
فالسلاح متوتر بأيديهم
والشرر يتقادح من عيونهم

تلك المطلة من وراء البويا السوداء
تدخل أحد الضباط

www.alkottob.com

وهوالذي سمح لنا الإبقاء على الفانيلات
والاكتفاء بخلع جلباب غادة ومنديلها
هون ذلك علينا
أبقى ردة فعلنا في إطار الهدوء

لكن مشكلة خطيرة برزت مع ربطة عنق الدكتور
تلك التي توانى في حلها
فكاد يقتل بسبب ذلك

كانت ملابسنا مكومة على مقدمة البيجو
طلب منا الضابط الدخول إلى الكرم المجاور
وكان منظرنا عجيبا ونحن نتقافز بملابس داخلية بيضاء فوق السلسال
في جو بارد تلبدت سماؤه بالغيوم
داخلين بين عشرات من أغراس الزيتون
وحين أصبحنا على بعد عشرة أمتار من الطريق
طلبوا منا الجلوس والإنتظار

أكبر احتمال دار برأسي ساعئذٍ أنهم سيطلقون النار علينا هناك
وما هي إلا دقائق حتى أصبح قمباز الحاج وكوفيته على جسم جندي
و بذلة الدكتور وربطة عنقه على جسم جندي آخر

وأما ملابسي فقد ظهرت على جسم جندي نحيل!!

www.alkottob.com

وأتى من داخل سيارة التاكسي رجل مخابرات
بملابس مدنية

ارتدى جلباب غادة ومنديلها على عجل
ومن ثم دسوا أنفسهم في سيارتنا
تلك التي انطلقت بكل غباء
لتلحق بها بقية سيارات الكمين!

كان واضحا أنهم متوجهون للقيام بعملية
يسمونها عادة بالعملية الخاصة.

_قلت لكم الأوضاع متوترة نؤجل الزيارة
قلتم عيب!!
اقبضوا انتظار!

قال الدكتور ذلك وهو يجلس القرفصاء
كان يحاول الاحتماء من الهواء خلف حجر كالقبر
وكان يغطي ما فوق نهديه بكفيه اتقاء للسعة الهواء الباردة
رد عليه الحاج:

_بسيطة..الآن يعودون!!
وأشار إلى غادة قائلا:

_كان لازم ترافقينا؟؟
أكثر ما خفت يوخذوا ملابسها! .
حدث ذلك ثاني أيام عيد الأضحى

www.alkottob.com

كنا في الطريق لزيارة فدوى في رام الله
حيث كنا عادةً ما نؤجل زيارتها لليوم الثاني بسبب بعد الطريق

لم يكف الدكتور عن نصحنا باتقاء الهواء البارد
والجلوس للحماية منه خلف السلاسل والصخور

على الشارع العام كانت حركة سير شبه معدومة
لا شيء يتحرك سوى قوافلهم
وسيارات المستوطنين!

مشكلة أخرى ظهرت حين أتت سيارة دورية أخرى
وتوقفت على بعد أمتار منّا
وتقافز الجنود من داخلها
اتخذوا من حوافي الطريق متاريس لهم
وكالعادة خاطبونا عبر سماعة يدوية
وكالعادة
قفوا وارفعوا أياديكم والفانيلات إلى أعلى
فتوقفنا
ولما ترددت البنت بذلك صاحوا بها أنت أيضا
تعال أنت ختيار
كان واضحا أنهم يقصدون الحاج
فصعد إلى الطرق وقد نفخ الهواء سرواله الطويل
وهو في الطريق إلى بوابة سيارتهم الخلفية
حيث مكمن الضابط والجنود
ولم نكن نسمع ما دار بينهما

www.alkottob.com

لكن الواضح أنهم لم يقتنعوا بكلامه
فاستدعونا واحدا تلو آخر.

حين جاء دوري وعرفوا أنني كنت السائق
ركزوا علي في التحقيق
وكان الضابط ذا الوجه الأحمر يصيح تعقيبا على كل رد مني:

_كاذب أنت
الجيش لا يأخذ ملابسكم
وبعد اتصال عبر جهاز كان مثبتا على أذنيه
قال:

_كذاب..انصرف!

المشكلة انهم أخذوا الجمل بما حمل
فلا بلفونات ولا أوراق أبقوا لنا
والأهم من ذلك
لا سجائر.

كانت الساعة الواحدة ظهرا حين بدأت المشكلة
وكان علينا أن نصبر ونحتمل
لا بل صرنا نميل إلى زفر حنقنا بنقاشات عادية !!

www.alkottob.com

أقسم الدكتور أن يخبر وكالة الأنباء الفرنسية بذلك

فالمراسل صديقه

فضحك الحاج طويلا وقال:

إنهم قرود، غير خائف من بسم الله!!

ثلاث مرات حدث وتوقفت سيارات دورية

وقاموا بنفس الحركات

وأجروا معنا ذات التحقيق

ومرت ساعتان كاملتان حتى عادوا

تهللت وجوهنا حين رأينا البيجو تطل بمقدمتها الزرقاء

ومن خلفها بضع سيارات لهم

لم يعد الجميع

أوقفها الجندي على طرف الشارع

ونزل منها مسرعا

خاطبنا بكلام غير واضح

لكننا فهمنا من حركته

أن خذوها وانصرفوا

عدنا إليها

استخرجنا الملابس

لم تكن ناقصة

إلاّ ربطة عنق الدكتور!!

حتى منديل غادة لم يضع

وحين رفعته عن الكرسي صرخت

كان ملطخا بالدماء

www.alkottob.com

فبدأنا التدقيق في الملابس الأخرى
وجدنا خروق رصاص في قمباز الحاج
وعثرنا على ثلاث رصاصات تحت الكرسي

اخترقت زجاج السيارة من الخلف
كذلك وجدنا آثار رصاصة خرقت الخزانة
وكنا نولول لمنظر الدماء والرصاص
إلا أن الحاج طالبنا الإسراع بالذهاب

قبل أن نعلق مرة أخرى!!.

www.alkottob.com

ليـلة العــرس

ليلة الدخلة

والساعة الواحدة صباحا

أخيرا جاء دور الذكريات

والرسائل

كانت العروس في المطبخ

تقوم بصنع أول فنجان من القهوة له

فنهض من السرير وتوجه إلى الخزانة

استخرج كرتونة صغيرة خضراء

مكتوب على بابها "شاي الغزلان"

وعاد بها إلى الفراش

نثر الأوراق على وجه الفرشة

كانت رسائل مرتبة

ومرقمة

" 1"

إذا كنت تحبني بصحيح توجه إلى أبي

واطلب يدي!

www.alkottob.com

"2"

رأيي سأقوله لأهلي وليس إليك

"3"

هذه آخر مرة أكتب إليك فيها
ولولا شأن أم سعد عندي لما
رددت بحرف واحد
أرجوك لا تحرجني

"4"

عاهدني ألاّ تخبر أحدا بما بيننا
ولا حتى أعز أصدقائك
واحكي لأم سعد أن تصون السر
فأنا أخاف من ألسنة العجائز

www.alkottob.com

"5"

أرجوك حين تمر بدارنا لا تكثر من النظر إليها
وإياك أن تتفوه بأي كلمة إن القتيتني في طريق
أو رأيتني على الشرفة

"6"

حتى الآن لم تعاهدني بكتمان السر

"7"

الليلة تذكرتك على العشاء
كانت الطبخة مقلوبة وإلى جوارها لبن نعاج
قلت لو أن هذا الصحن أمامه

www.alkottob.com

"8"

أعوذ بالله منك !

هل جننت؟؟

تريد لقاء في الخلاء ؟؟

ماذا تريد من هذا اللقاء؟؟

"9"

فرحت أنك بدأت ببناء الدار

الطابق الثاني حلو جدا

لكن يا حبذا لو كانت في مكان منفصل

حتى نكون وحدنا مع الليل والقمر!

بعيدا عن أهلي وأهلك!

"10"

بالأمس حلمت أننا تزوجنا!

www.alkottob.com

"11"

فاحت رائحة القهوة، فرفع بصره ..رآها

أشار إلى الرسائل وقال:

تعالي.. تذكري جنونك!!

باستغراب التقطت إحداها

مطت شفتيها

وحملقت جيدا

خيل إليه انها ابتسمت

هذه آخر رسالة اقرأيها !

هل تعلمين؟؟

حين قررت الكتابة إليك لم أجد طريقة

لتوصيلها سوى طريق أم سعد.

حتى أختي رفضت حملها

وأم سعد في البداية رفضت وخافت الفضيحة

لكن اختلف الأمر

حين وضعت الدينار في يدها .

أصيب بصدمة هائلة

لم تتفاعل معه

بل أقسمت أنها لم تكتب أي رسالة إليه

_عرضت علي أم سعد ورقة

www.alkottob.com

قالت إنها من أحد الشباب

لم تذكرك أنت.. فرفضت

أعوذ بالله أنا كتبتها؟؟

لم يصدقها

اعتبرها متهربة

واصل نثر الرسائل على حجرها

واصلت التأكيد

لماذا لم تخبرني عنها أثناء الخطوبة؟؟

تساءلت:

وهل أعطينا مجالا للتنفس

فقط رأيتك مرتين.. وكان ذلك بحضور أهلك

فماذا أقول؟؟

ليست الرسائل منها!!

هذا آخر ما كان يتوقعه

ولكن أم أسعد امرأة أمية

فمن كتب الرسائل إذن ؟؟

سأخنقها أم سعد!!

ضحكت علي!

داعبته

من كتبها غيره

www.alkottob.com

الدينار

هل كنت تدفعه لقاء كل رسالة ؟؟

نعم

وفي سبيل هذا قبضت ما يزيد عن الخمسين دينارا!

ولعلها أدركت مقدار خيبته

فطوقته بذراعها

هتفت: اعتبرني كاتبتها

وأحبك بأكثر مما فيها!!

www.alkottob.com

كنت بائعا متجولا

كأي بائع متجول كنت أحمل بضاعتي على كتفي فيما عيناي تجوسان
الأبواب والنوافذ والشرفات...

بالطبع كنت أبحث عن الزبائن!!
أطلت علي من شرفة في الطابق الخامس
كان تنظر نحوي فعرفت بحاستي أنها تقصدني
وعلى وشك إطلاق النداء
وهذا ما كان

_مكانس !!تعال!
وأشارت إلى باب العمارة
أفضى بي الدرج إلى فسحة وباب
وهي واقفة تنتظر

طرحت السلام عليها فردت ببطيء أعرفه في النساء
كانت امرأة ثلاثينية ذات جسم عملاق خال من المساحيق
وكانت بقميص نوم ينتهي تحت الركبة مباشرة
قمت بحل السلك الذي يجمع رزمة المكانس
وفتحت لها الباب للانتقاء
لم تكترث كثيرا بالأمر
بل سألت:

www.alkottob.com

_بلدية والا مستوردة مكانسك ؟؟

_بلدية. ونحن نزرعها.

_تزرعون المكانس ؟

وضحكت!

_لا نزرع ذرة حمراء نأخذ الحبوب للغنم والقش نصنعها منه

_أنت تصنعها؟

_أبي هو الذي يصنعها وأنا أبيعها

_بكم تبيع الواحدة ؟؟

وبدأت رحلة المساومة المرة

من داخل الشقة كان صوته يأتي من الراديو

"على حسب وداد قلبي يبوي"

فجأة

تركتني واقفا ودخلت

أحضرت فنجانْ قهوة، ناولتني أحدهما، فيما ظل الآخر في يدها

ولكم ذهلت حين رأيتها تستل سيجارة وتشعلها!

أمر لم أعتده رغم تكرار حدوثه

ألا وهو تدخين النساء

ولعب الفار في عبي حين عزمت علي سيجارة.

_لا أدخن

فكرت وفي رأسي صدى نصائح أبي الذي كان دائما يحذرني منهن .

ينادينك للشراء ويضحكن إليك وخذ سيجار أو قهوة!

www.alkottob.com

والقصد سيء
يأخذن بسعر أقل او يسرقن البضاعة
انتبه
فازداد انتباهي!!

لم تقبل بأي سعر قدمته لها
واصلت طلب المراعاة
وجلست القرفصاء لانتقاء ما تريده
انحسر القميص عن ساقين لامعتين
وملابس داخلية صفراء

تأكد لي كلام الوالد ،أشحت بوجهي، لتفهم أنني لست ممن يخدعون بسهولة!

وتوقفت عن الانتقاء بغتة وهي تتساءل:
_كم عمرك ؟
_ثمانية عشر سنة غير الليل

لكنها لم تضحك ولم تكترث
_متزوج أنت أم أعزب ؟؟
_أعزب
_الله ينولك من ببالك
راعني لكي انتقي ما أريد

_ما قلته لك هو السعر الأخير
ولكي أراعيها أخبرتني أن زوجها موظف صغير

www.alkottob.com

ويعمل ليل نهار في سبيل لقمة العيش
ولا يحصلون على القرش إلا بشق الأنفس
وهو الآن خارج البيت يعود بعد المغرب
لو تسألني ما كانت تفعله عيناها أو تقاسيم وجهها
لما استطعت الإجابة لأنني كنت لا أنظر إليها.

_ليش حاط سن ذهب ؟؟
_غواية
_حلو بفمك
_تلبيس والا أصلي؟
_أصلي .. رفسني حمار أوقع سني!!

إذن هي بالضبط تريد خداعي
تأكد لي هذا حين سألتني:

_تعرف ليش الواحد يتزوج ؟؟
_هذا حكي عيب والله!!
_تعرف العيب أنت
_طبعا
_طيب راعيني
_أنت باين ما بدك تشتري!!
_والا شو بدي
_بدك تضحكي علي وبس!!

www.alkottob.com

وجلست القرفصاء وأعدت ترتيب البضاعة

ثم نهضت لأقول لها:

_بدك تشتري والا أروح؟؟

هنالك غضبت فركلت الرزمة بقدمها وهي تهتف.

_روح.. واحد غبي!!

وكانت قد صفقت الباب وراءها فيما

هبطت الدرج وأنا ألملم قطع البضاعة المتناثرة على الدرج

بإحساس من أفشل مؤامرة كبيرة لاختلاس أمواله!!

www.alkottob.com

العقاب الطائش

ليل بهيم
رعد وبرق ورياح مجنونة
و"خربوش" مع الأشجار
تحاول العواصف اقتلاعه
انطفأ السراج واقترب الغول

***

قالت : الليلة نموت إن بقينا هنا!!
قال : ماذا نفعل ؟؟ أين نذهب ؟
قالت : نبيت في مضافة العبد!!

***

هي حملت الربابة والطبلة وصرة الملابس
بينما هو حمل بطانيتين وعصا طويلة
كان نادرا ما يستعملها

***

www.alkottob.com

لم تكن تلك هي المرة الأولى التي يلجآن فيها إلى هذا الخيار!!
فعرفت أقدامهما الطريق إلى المضافة
دون كبير عناء

***

كالعادة
كان هناك بضع سمّار معظمهم من العجائز
وكانوا متحلقين حول حفرة النار
يلعبون المنقلة
ويتسامرون على ضوء سراج ضعيف
وبالتأكيد يشربون الشاي
_أهلا وسهلا!

قالها العبد وهو يفتح للقادمين الباب!

المضافة واسعة وفيها بسط قديمة وقد أدفأت النار جوانبها
دلهما العبد على الركن القصي الذي سيقضيان به ليلتهما
لم يدم الصمت طويلا
نودي في البداية على اسعد مع الربابة
فنهض معدلا وضع طاقيته السوداء على رأسه
وتوجه إلى مجلسهم، تغطي وجهه ابتسامته السمحاء!!

_الليلة غنّ لنا عن عنترة ابن شداد

www.alkottob.com

قال العبد لكن الحضور اعترضوا
يريدون سميرة توفيق!!

وهذا يعني أن تنضم سعاد
صاحبة الصوت الساحر خاصة
في الأوف والميجانا

***

وانتهت السهرة بعد حين
غادر البعض فيما بقي آخرون.
وكان المتبقون من أصحاب المنازل البعيدة
والذين منعهم المطر من الخروج
ومن الذين بقوا رجل زعم أنه على خلاف مع زوجته
ولا يحب الرجوع الى الدار

***

المكان واسع والفراش متوفر للجميع !!
وانطفأ السراج معلنا بدء ساعات النوم

***

www.alkottob.com

لعلها كانت الواحدة ليلا حين استيقظ أسعد من نومه
فجلس على فراشه حاكا رأسه مرتبا وضع طاقيته
فاحصا المكان بعينيه كأنما يبحث عن ضالة.

ونظر طويلا إلى زوجته التي كانت ممددة على مقربة منه
ثم سرعان ما رفع أطراف بطانيتها ودخل بجسمه إلى جوارها
تسبقه أنفاسه الساخنة
تذمرت ونفخت ضجرا همست له:

_ما لك مرة تأتيني من اليمين ومرة من الشمال ؟؟
_أنا؟
_قبل ربع ساعة لا أكثر وهذه غيرعادتك!!

_جئت أتأكد أنك نائمة.. لا أريد شيئا آخر!!

تمدد على فراشه ،تقلب.. لم يفلح في الحصول على نوم!!
ثم ما لبث أن جلس ونظر إلى الجهة الأخرى
كانوا ينامون في سرب متقارب ..وأنفاسهم تتردد مختلطة
بشخير متواصل
اقترب من سرب النيام، أخذ يتحسس الصدور بكفه!

وجد صدرا مضطربا فيه دقات سريعة،
هز رأسه ،خلع طاقيته،وضعها على ذات الصدر
ثم توجه بهدوء المتسلل إلى ركنه.

www.alkottob.com

أحضر عصاه التي نادرا ما استعملها في شيء!!
لم يدر في خلده أن من الجائز قيام الرجل المقصود
بنقل الطاقية الى صدر جاره في الفراش.

حين وصل إلى هدفه رفع العصا ،هوى بها على ساقي الرجل الكهل
فهب هذا مذعورا متسائلا عن سبب العدوان عليه!!

لقد أفلحت الجلبة بإيقاظ الجميع

حتى السراج استيقظ على يدي العبد!!

وكان السؤال المحير هو: لماذا ؟

فراح أسعد يشير الى الضحية هاتفا:
_هو يعلم.. وانا أعلم!!

لكن الرجل المضروب صاح:

_والله لا أعلم!!

"من التراث الشعبي"

www.alkottob.com

عقدة ذنب طارئة

أنا أم أنت ؟؟

أحدنا فقد عقله

هذه هي الحقيقة الوحيدة المؤكدة

على الأقل الآن!

***

حين أخبرتك أنني عثرت على مكان للقاء

طرتِ من شدة الفرحة، لمست هذا فيكِ

"الحمد لله " شهقتِ

وزقزقت عصافير الهوى في نفسك

بأذني سمعتها!

***

قلت لك أن الرجل صاحب الشقة يريد خمسين دينارا بدل أجرة

قلتِ : ادفع وأنا شريكتك"

قلت لك :"أنها شقة في عمارة عالية ومأهولة"

قلتِ: "لا يهم"

قلت لكِ بواب الشقة رجل نكد قد يشك في أي وافد غريب

قلت : "لا تخف أتدبر أمري"!

www.alkottob.com

وقلت "المهم أن أجدكِ والبنطلون العسكري والقميص البني
أن أجدك كلك هناك "
إيّاك أن تستبقي منك شيئا في البيت!

***

ودفعت المبلغ واستلمت المفتاح
وحددت الوقت الأنسب بالتشاور معك
ما بين العاشرة والثانية ظهرا
استجبت لكل شروط الرجل
لا إزاحة للستائر في المطبخ أو غرفة النوم
لا فتح لباب الشرفة
لا أثر لسجائر أو شراب
لا صوت للتلفزيون
قبلت!

***

أخفيت القميص العسكري في كيس أسود
وحملت زجاجة العطر وصرّة الملابس الرقيقة
وهدية أخرى لا أريد إخبارك عنها
وذهبت على نفس الموعد
وكنت معي في آخر اتصال على الجوال!
قلتِ أنكِ تستعدين للمجيء

www.alkottob.com

وأخذتِ رقم الشقة

ألم يحدث ذلك ؟؟

***

لخمس سنوات ونحن معلقين على الأسلاك

وعلى موجات الجوال

خمس سنوات من الحب السجين يا ظالمة؟

ألم تكن تستحق بعضا من مغامرة؟؟

***

أتذكرين؟

كم مرة قلت فيها هذا سجن وليس وطنا

لا خير في وطن لا يمنح عاشقين عشا

ألم تقترحي الفرار؟

وبالطبع كنت أعارض هذا بشدة

***

لم أجد صعوبة في الدخول والوصول إلى الشقة

وفور دخولي اتخذت مجلسا خلف الباب المغلق

www.alkottob.com

أراقب عبر العين السحرية كل من صعد وهبط الدرج
كنت أنتظرك بقلب واجف

***

ولما بدأ الوقت يلوكني اتصلت
غير مرة اتصلت
كان جوالك مغلقا
قلت لا بد هي في الطريق قادمة

***

لو قلتِ لا أستطيع
لو قلت لا أريد
أو أن ظروفي قاهرة
لو قلت خائفة
أو شعرت بعقدة ذنبٍ طارئة
لصدقتك
لأني أعرف أنك صادقة

***

تخيلتك شعرتِ بوجود مراقبة
أو داهمك ضيوف في اللحظة الأخيرة
أو استيقظ ضميرك على الباب
أو أن دوريات الاحتلال اعتقلتك

www.alkottob.com

تخيلت كل شيء

سوى ما جرى!!

***

سوى أن تفتحي جوالك والساعة الواحدة ..لتقولي لي

"أنا ؟ أنا وعدتك؟؟ أنت مخطيء في النمرة"

وأغلقتِ!

لا أريد أن أعرف ما جرى

لأني لا أريد أن اخطيء في النمرة مرة أخرى!

www.alkottob.com

الصورة المشتركة

أنا ، وحمارنا الأعرج، وأطراف سلسال مهدم، وبضع زيتونات كبيرة
كان السلسال سياجا لها، وسيارة دورية "إسرائيلية" تقف على رأس الشارع سنظهر حتما في الصورة،"

سنكون بين يدي عائلة "يابانية" يتناوب أفرادها النظر إلينا ستقول لهم السيدة العجوز، تلك التي كانت تحمل الكاميرا، وهي تشير إلي ستقول:" هذا واحد من السكان الأصليين في الديار المقدسة، عثرنا عليه قرب الشارع "

وستشير إلى الحمار وتضيف:" وهذا من الحيوانات الداجنة يستعملونها في النقل بين القرى والمدن مازالوا يستعملونه منذ القرون الوسطى وهذه أشجار متوسطة الأحجام مقدسة لديهم ،تماما كبوذا عندنا إنها دائمة الإخضرار، وموجودة في تلك الديار بكثرة، تسمى زيتونا ويوجد مثلها في أسبانيا واليونان ، وحين تصل إلى سيارة الجيش تقول" هذه من قوات الناتو في المنطقة، معسكرهم رأيناه من نافذة الحافلة،وهو قريب من المكان ، إنهم موجودون لحفظ الأمن هناك، في الديار المقدسة "، هذا ما ستقوله السيدة العجوز ومن الجائز أن تضيف _حتما ستضيف _توقفت بنا الحافلة أمام هذا المنظر، كنا في الطريق من" جورزليم" إلى بحيرة تسمى بحيرة لوط لالتقاط الصور،
عرضت على هذا الرجل وهو من السكان الأصليين خمسين دولارا ليركب الدابة
وأقوم بتصويره فرفض، لا أدري لماذا رفض، أظن أنه كان خجلا، أو أنهم في تلك الديار يبجلون الحمير كما نبجل نحن الإنسان.

www.alkottob.com

الصبي الجميل

يوم جمعة وبعد الصلاة والغداء وقيلولة قصيرة وجد نفسه في فراغ
استبدل ملابسه وحمل بيده مجلة للتسلية وفي اليد الأخرى حمل عصا من باب الاحتياط خطر بباله
صديق عزيز على القلب فقرر التوجه إليه، إلى كرم "الحمام" كما يسمونه

***

بعد عشرين دقيقة كان هناك
أصبح على السفح الشرقي لجبل جرزيم
وسط عشرة هكتارات من الأرض تظهر كمسطيل اخضر
راح يتسكع بين مئات الأشجار المثمرة
أشجار تين ولوز وعنب وزيتون
بشعور محب حدق إلى كل شيء من حوله
ثم اختار زيتونة مخيمة للجلوس في ظلّها الحنون

***

تعب بصره من التنقل على التلال والسهول البعيدة والقريبة
كم تغيّر الحال يا جرزيم ؟
زحف الإعمار على السفح فغطى الصخور العارية
واختفت بقع التراب تلك التي كانت مشاتل للربيع والزهور
أين بيوت الشعر وقطعان الماشية؟

www.alkottob.com

أين اختفى الصيادون والزرّاع وأنغام الرعاة ؟

وحفيف أشجار الصنوبر هذا

هل سيختفي لاحقا لتحل محله أبواق السيارت ونداءات الباعة ؟

فتح المجلة بلبٍ شارد

لم يأتِ إلى هنا منذ عامين

تذكرانه كان يرى من خلال المكان قمة جبل الشيخ

هالة من الثلج تلمع في الأفق البعيد

وسفوح جبال السلط الأردنية

كانت هناك غيوم في الشمال والشرق حجبت رؤيته

لكنه رآها

***

كانت امرأة متوسطة القامة ذات جلباب رمادي ومنديل أزرق

لم يعرف من أين أتت ولا ماذا تروم

لكن من المؤكد أنها أتت من أحد المنازل المتناثرة في المنطقة المجاورة

لعلها تطلب فسحة بين الأشجار مع مرافقها العزيز

ذلك الطفل الذي لا تصل هامته الى مستوى خصرها

والذي كان يتشبث بيدها دون فكاك

وهي التي تحدثه بنبرات ناعمة كحفيف الصنوبر القريب

تسلل حضورها إلى نفسه ، سيطر عليه

لم يعد يفكر بغيرها

***

www.alkottob.com

مع وجودها أصبح المكان مأهولا بها

ونفسه نسيت كل شيء إلا حضورها

تارة يقول لنفسه ألاقيها ،أحتك بها

أعرف قصدها

وتارة اخرى يتساءل مالي و لها ؟ مجرد عابرةٌ هي!

لكن ماذا تريد؟

كل ذلك وهو يراقبها بعينيه المتوثبتين

لو كانت بلا صبي يرافقها لعربدت عليه تساؤلات أخرى

***

توقف فوق رأسها وأمعن النظر إليها وهي منحنية لاهية

كانت تقطف الأوراق من دالية غضة

تنحنح لافتا انتباهها ، فانتفضت واقفة بذعر

وحدقته بنظرة متسائلة، وفجأة لانت قسمات وجهها

حتى خيل إليه أنها ابتسمت

سألها عما تقوم به فأجابت بأنها آتية لأخذ ورق العنب

أبدى دهشته:

_كيف تأتين دون إذن ؟

_أنت ابن أبي قاهر؟

_نعم

_أي واحد منهم أنت؟

_ مازن

_لا تعرفني ؟ جئت يوم عرسك ، قبل سنتين!

www.alkottob.com

_لا والله

_أنا مرأة أبو

قبل أن تكمل عبارتها تذكرها

صاحبة الدار الحمراء

قبل عامين في موسم الزيتون أتت لمساعدتهم في القطاف

وذات مرة وهو يرافق أبيه أثناء الحراثة جاءت حاملة إبريق شاي وصحنا من الكعك

لكنها كانت أجمل

سألته عن أمه وعن أخواته وبالاسم

_أنا شفتك من بعيد فكرتك أبو قاهر . وأين هو اليوم ؟

_راح عمرة هو والوالدة

_أبو قاهر راح عمرة ؟

_لما يرجع حق نزوركم ونسلم عليه

***

توجهت إلى كيس بلاستيكي أسود كان ملقى قرب الطفل، فتحته لتستخرج من داخله إبريق شاي وبضعة كؤوس زجاجية صبت له الشاي وهي تقول ببراءة:

_فيه نعنع إن شاء الله تكون مثل الوالد ، تحبه

_من يدك بركة

وحين تعلق الصبي بيدها يريد أن يقبض عل الكأس انتهرته

كان صبيا رائعا

أحس بميل شديد إليه

www.alkottob.com

وذهل

كان يشبه أخاه الصغير "صابر" إلى حد التطابق

نفس الشعرات والأنف الدقيق والعينين الواسعتين

نفس الجبهة العريضة ،

كأنهما توأمين

_اللهم صل على محمد ، ابنك هذا؟

_والا ابن الجيران ؟

وضحكت ببراءة ، ثم بنبرة جدية قالت:

_رزقت به بعد خمس بنات

_ربي يخليه، تعرفي يشبه أخا لي حد التطابق

اهتزت ، وانكمشت ملامح وجهها المستدير، أو هكذا خيل إليه

قالت

_يخلق من الشبه أربعين

_سبحانه!

تمتم وهو يتناول كأس الشاي من يدها دون أن يرفع عينه عن الصبي الجميل

وقد بدأت تلوح في رأسه فكرة مغادرة مكان تواجدها!

www.alkottob.com

أبــو قنديل

المغارة معتمة موحشة، والليل في الخارج يلف الكون
لاشيء سوى الصراصير تعزف لحنها الخالد
رغم ذلك لم يكترث ..

فرش قطعة السجاد وجلس فوقها ينتظر
أرسل يده إلى الأرض متحسسا وجود الحجارة والشوائب لإزالتها
وحين استخرج من جيبه علبة السجائرخبأ الشعلة في يده
أن يكون اللقاء في مغارة هي رغبة الحاجة "زهية" عليها غضب الله

لو قبلتِ أن يكون اللقاء عندك ، في السقيفة ، وليكن في الظلام ، أما كان أفضل ؟

خافت على السمعة الطيبة!

سمعتها!

***

وأذن لصلاة العشاء منذ مدة ولم تحضر
فهل ضحكت علي ؟

www.alkottob.com

لا يمكن أن تكذب أو تخدع فهي تعرف طبعي

ربما حدثت عراقيل

الصبر بالله

***

لو سئل "ابو قنديل" في تلك اللحظة عن أجمل امرأة في الدنيا

لقال :" هي بنت أبو نحلة"

وهي تلك التي كان جالسا بانتظارها

***

كم ذهلت الحاجة "زهية" حين أخبرها برغبته

قالت : أنتم الرجال عيونكم فارغة

لا أدري ما الذي يعجبك بها ؟

دبة!

وزوجتك أفضل منها ألف درجة

هتف مداعبا:

_لو أنك رجل لعرفتِ

وحاولت ثنيته عن نيته لكنه أصر وألح عليها أن تساعده

ولولا الدنانير الخمسة التي لوّح بها لما قبلت

***

www.alkottob.com

بعد أيام قالت له:

_ابشر ، وافقت!

وأخبرته بالمكان والزمان

وقالت مع آذان العشاء لأن زوجها سيذهب إلى الجامع

ليصلي التراويح ، وهذا هو الوقت الأنسب.

قبل ، وقبل أن تكون المغارة هي مكان اللقاء ، بعد أن أبدى تذمره!

_بالك يكون في مضافة ؟

مجنون أنت ، في المغارة وبالكاد حتى قبلت

***

سمع دبيب أقدام في الخارج ، تصاعدت دقات قلبه

أطلت من الباب كشبح أسود

تبعتها الحاجة التي همست له:

_مثلما اتفقنا ، لا حس ولا خبر

و بسرعة

***

وهاجمها كذئب جائع

***

www.alkottob.com

بعد دقائق معدودة انفصل الجسدان المتعبان

وكان يهمس كمن يناجي نفسه:

_صار لي خمس سنين منتظر

لم تجب

_ما رأيك كمان مرة

أحس بيدها تبعده

تمتم:

_تأكدت أنك تحبيني يوم العيد ، حين ابتسمت لي ، صاحية ؟

_ .....

نياله زوجك

وتوقف عن الفحيح وهو ينظر إلى الحاجة التي دخلت المغارة قائلة:

_استغنيت يا طماع؟

_ملعونة أنتِ ، تطوّعين الحجارة!

لن أنسى لكِ معروفك هذا

ابتسمت وقالت مخاطبة صاحبتها:

_احكي معه ، مالك ساكتة ؟

_عرفتك يا حمدان على حقيقتك ؟

قالت المرأة فذهل:

زوجته وليست غيرها كانت

www.alkottob.com

صاح بالحاجة:

_شو عملتي يا خاينة ؟

أجابت:

_أتيتك بأجمل امرأة في البلد ، أنا الخاينة ؟

قهقه كالمجنون مخاطبا زوجته:

_بالعكس عن الحلال، ما أطيبك في الحرام!

"من التراث"

www.alkottob.com

شق الباب

أقبل الصبي على أمه يريد تقبيل فمها فانتهرته قائلة:

_لا ، خلق الفم للأكل والشرب والضحك والحكي فقط
أما القبل فيجب أن تكون على الخد أو الرأس أو اليد
أتفهمني ؟

لم يقتنع بالرد فتوجه إلى أبيه الذي كان يرقب الموقف
بفضول وسأله:

_صحيح ما تقوله أمي ؟
أجاب الأب هازا برأسه دلالة موافقة:

_نعم ولا تنسى يا حسن أن القبل في الفم تساعد في نقل
عدوى الأمراض مثل الإنفلونزا وغيرها

هنالك صاح الصبي كالمحتج:
_إذا كان هذا صحيحا فلماذا كنت البارحة تقبل جارتنا في فمها
على الدرج رأيتك من شق الباب!

www.alkottob.com

ملتقى الصداقة الثقافي

دار الصداقة للنشر الإلكتروني

http://www.alsdaqa.com/vb

http://www.alsdaqa.com/vb/forumdisplay.php?f=95

www.alkottob.com